

رسوخ الجبال وشموخ القلاع في شعر

عبد الله البردوني

البردوني شاعر اليمن السعيد ، بصوته الشعري الذي يتردد في جنبات جبال اليمن يطاولها شموخاً ، ويزاحمها سموًا وارتفاعًا ، ترى في قصيدة حديث الريح عندما تلتف خصور الجبال ، وترى في شعره هدير العربي حين يغضب ويثور لكرامته وتسمع في قصيده حديث العاشق الرقيق الذي يفيض عذوبة وسلاسة وانظر إليه يتغني بجمال اليمن السعيد ، وكيف يصفها ومدى تمكنها من قلبه بقول في قصيدته الرائعة (من أرض بلقيس) :

من أرض بلقيس هذا اللحن والوتر
من جوها هذه الأنسام والسحر
من خاطر «اليمن» الخضرا ومهجتها
هذي الأغاريد والأصداء والفكر
هذا القصيد أغانيها ودمعته
وسحرها وصباها الأغريد النضر
يكاد من طنول ما غنى خمائلها
يفوح من كل حرف جوها العطر
يكاد من كثر ما ضمته أغصنها
يرف من وجنتيها الورد والزهر
كأنه من تشكي جرحها مقل
يلح منها البكا الدامي وينحدر
يا أمي اليمن الخضرا وفانتتي
منك السفتون ومني العشق والسهر

ها أنت في كل ذراتي وملء دمي
شعر «تعنقده» الذكرى وتعصر
وأنت في حضن هذا الشعر فاتنة
تطل منه، وحيناً فيه تستتر
وحسب شاعرها منها - إذا احتجبت
عن الالقا - أنه يهوى وينكر
وأنها في مآقي شعره حلام
وأنها في دجاء اللهو والسمر
فلا تلم كبريأها فهي غانية
حسنا، وطبع الحسان الكبر والخفر
من هذه الأرض هذي الأغنيات، ومن
رياضها هذه الأنغام تنتثر
من هذه الأرض حيث الضوء يلثمها
وحيث تعتق الأنسام والشجر
ما ذلك الشدو؟ من شانيه؟ إنهما
من أرض بلقيس هذا اللحن والوتر

ويروح المحب العاشق يتحدث هامسا إلى محبوبته في رقة ما بعدها رقة

يطري جمالها ، ويصف بهاءها ، وما يحمل لها في نفسه من هيام وعشق ، بقول :

ابنة الحسن والجمال المدلل

أنت أحلى من الجمال وأجمل

وكان الحياة فيك ابتهام

وكان الخلود فيك ممثلا

كل حرف من لفظك الحلو فردوس

ندي وسلسبيل مسلسل

كلما قلت رف من فمك الفجر

وغنى الربيع بالعطر واخضل

أنت فجر معطر وربيع

وأنا اليبيل الكئيب المبلبل

أنت في كل نابض من عروقي

وتر عاشق ولحن مرتل

كلما استتظقت معانيك شعري

أرعد القلب بالنشيد وجلجل

وانتزفت اللحن من غور أغوا

ري كأي أذوب من كل مفصل

وأغنيك والصبابات حولي

زمر تحتسي قصيدي وتهل

وأناجي هواك في معوض الأو

هام في شاطئ الظلام المسربل

وفؤادي يحن في صدزي الدا

مي كما حن في القيود المكبل

وهواك الغضوب نار بلا نار

وقلبي هو اللهب المذلل

أنت دنيا الجمال نممها السحر

فأغرى بها الجمال وأذهل.

